صورة الشخصية الايجابية في رواية مقامات إسماعيل الذبيح

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

م.م. تغريد خليل حامي م.م. هبة قاسم عبد الحسن

المقدمة

نجد عند الروائي عبد الخالق الركابي الشخصية الايجابية تطغى على الشخصية السلبية في روايته "مقامات اسماعيل الذبيح " فالشخصية الايجابية الفاعلة هي القادرة على التعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي القائم وإيصال افكارها ومشاعرها لذلك تكون محور اهتمام المتلقي ولفت انتباهه ، ولها قدرة فائقة على التأثير ، فهي شخصيات تتقبل الواقع وتتعايش معه وتأثر في هذا الواقع تأثيراً واضحاً ، فكانت شخصياته اشبه ما تكون بشخصيات واقعية ايجابية جاءت من ماضي مؤلم، وعدم الاستسلام للظروف القاهرة المحيطة بها. لذلك لجأ عبدالخالق الركابي في روايته الى استعمال تقنية الاسترجاع للأحداث الماضية بوساطة شخصياته الايجابية الفاعلة ،فربما اراد الروائي من وراء سرد هذه الأحداث الماضية بضمير الغائب ان يمنح روايته مصداقية الأحداث وواقعيتها ، فهو يسرد من ذاكرة هذه الشخصيات الايجابية الأحداث المتطورة والمتصاعدة تصاعدا سببيا ومنطقيا لإثارة انتباه القارئ واستمتاعه ، من هنا جاء فكرة دراسة الشخصية الايجابية في عمل هذا الروائي الكبير، رغبة في الوقوف على دور هذه الشخصية في عمله الروائي.

Abstract

The novelist Abdul Khaliq al-Rikabi finds his positive personality overwhelms the negative personality in his banner "Maqamat Ismail al-Zubayh" Positive personality is the actor able to express the existing social and political reality and communicate their ideas and feelings so be the focus of the attention of the recipient and drew attention and has the ability to influence,

Reality and coexist with him and affected in this reality a clear impact, his characters were like positive real figures came from a painful past, and not surrender to the circumstances surrounding Cairo. Therefore, in his novel, Abd al-Khaliq al-Rikabi resorted to the use of the technique of retrieving past events through his active positive characters. Perhaps the narrator behind the narration of these past events in the conscience of the absentee wanted to give his novel the credibility of the events. He recounts from the memory of these positive figures the evolving and escalating events, Reader and enjoyment, hence came the idea of studying the positive character in the work of this novelist, a desire to identify the role of this character in his work novelist

الشخصية الايجابية في العمل الروائي:

تعد الشخصية عنصر فاعلاً ومتفاعلاً من عناصر العمل الروائي بكونها كائناً انسانياً يتداخل داخل النص الروائي ويقوم بالأحداث السردية المتوالية تواليا متنامياً في مجرى الحكي فضلا عن انها " مدار المعاني الانسانية ، ومحور الافكار والآراء العامة ، ولهذه المعاني والافكار والمكانة الأولى في الرواية "[1]، وعليه فإنَّ تشكّل نسيج السَّرد واتصال حلقاته يتصل اتصالاً كبيراً بما يميز شخصياته من النشاط ، وما ينمّ عنها من أفعال وحوارات تتباين بتباين دلالاتها واختلاف مواقعها ومستوياتها [2]. وبذلك لا يوجد سرد من دون شخصية متفاعلة مع عناصر السرد الأخرى لتشكيل نص روائي ، يستمد جماله وقيمته الفنية ، وقوة تأثيره الفعال من شخصياته ، وكل ما تملكه من ابعاد نفسية وفكرية واجتماعية فضلاً عن ملامحها العاطفية ، وكل ما تعكسه من تصورات وتجارب وقيم [3].

مما يعني " أنَّها ليست معطى قبلياً وكلياً وجاهزاً ، أنَّها تحتاج إلى بناء ، بناء يقوم بإنجازه النص لحظة (التوليد) وتقوم به الذات المستهلكة للنص لحظة التأويل"[4] ولذلك فقد نظر الروائي إلى النص الروائي تبعا لهذا التصور ؛ لأنَّ. "ما هو اساسي فيه ، هو الأدوار التي تقوم بها الشخصيات ، فمن هذه الأدوار ينشأ المعنى الكُلِّي للنص "[5].

ومما لاشك فيه أن اهمية الشخصية الروائية تأتي من "تمكن مبدعها من الكشف من الصلات البعيدة بين ملامحها الفردية ، وبين المسائل الموضوعية العامة ، ومن قدرتها على جعلها تعيش أشد قضايا العصر تجريداً وكأنها قضاياها الفردية المصيرية".[6]

والشخصية الروائية من حيث مواقفها إزاء الاحداث وتأثرها بها نوعان سلبية، وإيجابية ، والسلبية هي الشخصية "يعرفها اسمها ويحددها مصطلحها ،فهي تلك التي لا تستطيع ان تؤثر ،كما لا تستطيع ان تتأثر " [7]. اي انها تتلقى الأحداث سلبية أم الإيجابية ، ولا تبدي اهتماماً بالواقع إذ تعزل نفسها عنه ولا تأبى الخضوع التام لإرادة الآخرين ،وتبدي اقصى قدر من الانسجام والائتلاف مع سلطة الثورة ،وتتحرك تحركاً ميكانيكيا أو الياً يفقد الحماس[8] فهي ذات نظرة تشاؤمية بارزة في مواقفها كافة ، فتفقد الثقة بنفسها وقدراتها نتيجة فشلها في التآلف مع محيطها ؛ لان شعورها بالفشل والهزيمة والاستلاب يدفعها للاستسلام للظروف المحيطة بها.

اما الشخصية الايجابية : هي الشخصية تتفاعل مع الاحداث المتنامية تنامياً سببياً ومنطقياً ، فتتطور من حدث الى آخر ساعية الى التغير الواقع والثورة عليه ، والانتقال به من حالة السكونية الى حالة الحركة المستمرة؛ بما لديها من وعي وثقافة ،وهي في صلح مع نفسها ومع المجتمع الذي تعيش فيه. [9] وهي بذلك تنتقل من حالة الى اخرى مظهرة التحولات النفسية العميقة بداخلها نتيجة صراعها مع الاحداث والمجتمع ، وهكذا تنكشف ملامحها وسماتها للقارئ تدريجيا كلما تقدمت في الرواية ،" وتفجؤه بما تغنى به من جوانبها وعواطفها الانسانية المعقدة . ويقدمها القاص على نحو مقنع فنياً ،فلا يعزو إليها من الصفات إلا ما يبرر موقفها تبريراً موضوعياً في محيط القيم التي تتفاعل معها"[10].

ويبدو أنَّ الشخصية الايجابية تحمل في داخلها إحساسا وإرادة باطنية قادرة على تغيير العالم [11]. على وفق تصور يتصف بالإنسانية ، بما تمتلكه من قدرة على التأثير فيمن حولها من

الشخصيات الاخرى في النص الروائي، اذ تؤثر وتتأثر بما يحيط بها بتفاعلها مع الأحداث المتتابعة ، فضلاً عن ذلك قدرتها على اتخاذ مواقف ايجابية في انفعالاتها ومشاعرها تجاه الآخرين ، والحسم في القضايا المعلقة بإرادة قوية بعيداً عن التردد الفكري والعاطفي الذي يصيبها بالترهل والضعف ، ويفقدها تأثيرها وقيمتها في صياغة الاحداث [12] وهي بذلك دينامية تتمتع بأبعاد نفسية ومعقدة وتتميز بقدرتها على إثارة الدهشة بصورة مقنعة بالتحولات المفاجئة المدهشة التي تطرأ عليها داخل البنية الروائية الواحدة[13].

الشخصية الايجابية في رواية مقامات اسماعيل الذبيح:-

ومن هذه الشخصيات الايجابية شخصية اسماعيل الذبيح ، هذه الشخصية المحورية استطاعت ان تكون مركز اهتمام الشخصيات الاخرى ، فكانت ذات قدرة على التأثير، لأنَّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً " بالأحداث الضخمة التي عاشت فيها والتي شكلتها[14]" والتي تفاعلت معها تفاعلاً متنامياً بصورة سببية ومنطقية بحركتها وسلوكها ومواقفها المختلفة التي تنكشف تدرجيا في تطورها مع الاحداث المتتابعة التي تدور حولها باتجاهات متباينة.

ويبدأ الراوي في تقديم هذه الشخصية بشكل تفصيلي واضح يحدد فيها صفاتها وسماتها " ذات يوم ،وبعد انتهائه من استعداداته المعهودة للخروج من البيت، فوجى بأبيه يعترض سبيله ليخاطبه ناصحاً:- ألا يفترض بك اخذ قسط من الراحة بعد عودتك من عملك المرهق عوضاً من إسراعك بالخروج ؟ - وهل شكوت لك التعب يوماً ما يا أبي؟ سأله إسماعيل بدوره ، فلم يملك إلا أن يقرّ ، مع نفسه ، صدق ابنه ؛ فهو مثال للصبر والتحمّل: ما عاد يوماً من عمله إلا وسلّمه أجرته لقاء الاحتفاظ بجزء ضئيل منها لنفسه . كما أنه لم يأنف عن ممارسة مختلف الحرف والاعمال التي تدرّ عليه الرزق في بلد محتل من قبل العثمانيين ، لا سبيل لأمثاله من الشباب إلى الحصول على لقمة العيش ألا بممارسة أشق الاعمال مثل العمل في صبغ الألبسة ، أو قص الطابوق، أو تبيض القدور ، أو الندافة ، أو حياكة السلال، والحصران "[15].

فالراوي هنا يكشف عن أغوار هذه الشخصية الايجابية وتأثيرها في سير الاحداث المتوالية توالياً متنامياً ، فسماعيل شخصية تمثل مركز لتنامي الاحداث ومحور استقطاب الصراع لأنها تنمو وتتحرك على وفق قدراتها وإرادتها ، فقد طغى على سلوكها عنصر الكفاح والصبر وتحمل المسؤولية وافعالها تؤكد صلابتها ومقاومتها للظروف الصعبة المحيطة بها ، فهي تتكفل برعاية والديها والاهتمام بهما ، فقد كانت تمارس اعمالاً عديده من أجل الحصول على لقمة العيش ، اذ نجدها تعمل بمختلف الحرف والمهن.

المصادر التي تستمد منها الشخصية قوتها وايجابيتها :-

اولا:- الانفراد والتميز في الصفات وقدرتها على اداء الاحداث بصورة فعالة:

تعد شخصية اسماعيل شخصية مركزية ذات أثر ايجابي في افعالها ومواقفها ؛ لأنها تصنع الاحداث المتتابعة وتنتهز الفرص وتؤثر فيمن حولها من الشخصيات الأخرى تأثيراً ايجابياً واضحاً ، اذ تمثل البطولة والانتصار ،وتمتلك قدرة من السيطرة على انفعالات النفس ،فضلا عن ذلك تمتلك التحدي ولها غايات متعددة وما ان تصل الى غاية حتى تبرز لها غاية اخرى ، اذ انها في حركة مستمرة في الحياة وتطمح لتغيير الظروف القاهرة المحبطة :" لقد بلغ سوء الاوضاع حداً دفع شخصا من اسماعيل – وهو المعروف بتشعّب علاقاته في أكثر من مجال تجاري – إلى التفكير جديّاً بتحويل إحدى غرف البيت إلى (مصبنة) .أما الدافع الخفي لهذا المشروع فلم يكن يخفى على زكريا ؛ فقد أدرك أن ما يقف وراء حماسة زوج اخته لهذا الأمر يعود إلى سعيه لتوفير فرصة عمل لرمزي الذي بقيت عاهته مصدر مرارة دائمة له لشعوره أنه عاله على أشقائه الآخرين؛ يضطر مجبراً الى تقبّل يد العون التي لم يكونوا يبخلون بها عليه "[16].

إن إيجابية الشخصية جاءت من الواقع المؤلم جعلت في داخلها نوعاً من الرفض للألم وعدم الاستسلام له بوساطة صراعها مع الألم والقسوة ، فكلما كان الألم كبيراً كانت الشخصية أكثر إيجابية وتفاعلاً .فدافع اسماعيل في تحويل احدى غرف البيت الى المصبنة

يكمن في توفير فرص عمل لرمزي الذي اصيبت ذراعه اليمنى مما ادى الى بترها على اثر انفجار لغم كانت مفرزه التخريب تحاول زرعه تحت الخط الحديدي ، فمفارز التخريب هذه التحق بها اسماعيل ورمزي في حربهم مع الإنكليز وفرنسا ضد السلطات العثمانية .." صباح اليوم التالي لم يكد يوسف يقترب من بوابة المستشفى حتى التقى ذياب رؤوف خارجاً من هناك حيث بادر بطمأنته على حالة اسماعيل واحتمال أن يغادر سريره خلال أيام معدودة . وأضاف وهو يرمقه بعينيه الحولاوين :بيد أن الأمر يختلف مع رمزي الخالدي ، فقد بتروا ذراعه اليمنى !"[17]

اغرق الراوي شخصية اسماعيل في متاهاتها الباطنية ،وبنى اسسها على ذراع الرمزي المبتورة التي انطلق منها دافعه الخفي في تحويل احدى غرف البيت الى مصبنة ، الذي كان المكون الرئيس في تخليص رمزي من شعوره انه عالة على أشقائه الآخرين :((ووجد زكريا في العمل الجديد فرصته لكسب رزقه بعد ما يئس من أن توفّر له شهادته عملاً وظيفياً ، فكان أكثر الجميع حماسة وهو يشمر عن ساعديه صباح كل يوم ليشعل النيران تحت تلك القدور النحاسية الضخمة بمزيج من الماء وحبات الزيتون، مغذّيا إياها بالمزيد من الحطب . وكان دور رمزي يتلخّص بترتيب الأواني والأطباق المستوية من حوله تاركاً لإسماعيل إنجاز تلك المهمة الصعبة المتمثلة بسكب محتويات تلك القدور في الأواني والأطباق)) [18] .

فالراوي يكشف عن سلوك اسماعيل الذبيح وتصرفاته على وفق ما يقع له من احداث متنامية الدالة دلالة واضحة بانّه شخصية ايجابية متمثلة بحضورها المتميز والفعال قادرة على تغيير الواقع الاجتماعي القائم الى واقع آخر مختلف تماماً عما كان عليه ، وبذلك فقد شكلت شخصية فاعلة ومتفاعلة تقوم بدور مركزي وتحيط بها مجموعة من الشخصيات الأخرى التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ؛ لتقديم الأحداث المتوالية ودفعها الى الامام بصورة متسلسلة تسلسلاً سببياً ومنطقياً ،مما تؤثر تأثيراً فعالاً في المتلقي وتجعله يشعر بشعورها والآمها .

ثانيا:– الماضي بعده مصدر قوة تستمد منه الشخصية إيجابيتها

تتداخل الذكريات والرجوع الى الماضي والتوقف التأملي ليسرد الراوي من ذاكرته صورة اسماعيل الذبيح الذي هرب من رجال الجندرمة ليلتحق بحركة المجاهدين لاسترداد مدينة البصرة من السلطات البريطانية المحتلة :" لقد هزّ هذا الأمر زكريا من الأعماق ، فقد اكتشف في اسماعيل الذ بيح نموذجاً لبطل الرواية مفلح ، بل لعله فاقه بمراحل ؛ فقد تقلّبت به الأحوال دون اختيار منه – منذ هربه من رجال الجندرمة والتحاقه بحركة المجاهدين لاسترداد مدينة البصرة من المحتلين البريطانيين – لتضعه في النهاية – عند لقائه أصدقاءه في العقبة واكتشافهم المحزن اتفاقية (سايكس – بيكو) و (وعد بلفور) – إزاء قرار نهائي بالانسحاب من الجيش العربي وما ترتّب على هذا القرار من إسهام في التصدي للغزو الفرنسي في واقعة ميسلون ، ومشاركة فعلية في الثورة السورية ، ليلعب بعدها دورا كاد يكلفه حياته في ثورة البراق انتهى بإيداعه سجن عكا "[19].

فقد تشكلت في صورة الشخصية اسماعيل الذبيح الاحداث المهمة التي اسهمت اسهاماً فعالاً في الكشف عن اغوار هذه الشخصية شيئاً فشيئاً من تفاعلها مع الاحداث المتتابعة تتابعاً متناميا ، اذ يعمد الراوي بضمير الغائب الى طريقة فنية بارعة ، بوساطة ذكر الحدث الاساس –هروب اسماعيل من رجال الجندرمة – الذي بينت عليه الاحداث المتتابعة الاخرى حتى تصل الى الحدث المهم والبارز في حياة اسماعيل الذبيح الا وهو مشاركته في ثورة البراق التي لعب فيها دوراً مميزاً انتهى بإيداعه في سجن عكا ، ومن هنا تضافرت جميع الاحداث المتفاعلة لتظهر شخصية اسماعيل الذبيح الايجابية بصورة تدل دلالة واضحة على أنها شخصية من صميم الواقع مما يخلق إيهاماً بواقعيتها وصدقها .

ثالثا:– الألم والقسوة من الأحداث المؤثرة التي تواجه الشخصية

يبدو أنَّ وصف الشخصيات المدورة الايجابية ورؤاها للواقع ، هو شيء يُنمي الرغبة في رصد الانفعالات الداخلية للفواعل داخل العالم الحكائي .لذلك لم يكن يهم ما يسرد من أحداث بقدر ما كان يهم أثرها على انفعالات العوامل النصية ونظرتها السياقية إليها ؛ فالمهم هو

رسم حدود التأثر وردود الأفعال والانطباعات الذاتية وتمثيلات العلاقات المتعددة بين الشخصيات السردية ذاتها[20].

وفي ذلك يقول اسماعيل الذبيح :" من المؤلم ان يموت الانسان في مقتبل عمره بدخول معركة خاسرة لا جدوى فيها . كان لي صديق اسمه جابر البنا تعرفت إليه أثناء هربي من (الجندرمة) عقب اعلان النفير العام الذي اعلنته السلطة العثمانية .وكان مثلي هارباً ، ولكن لسبب اخر ؛ فقد تسبّب في إحراق احد اشقياء محلته الذي حاول إذلاله وسلبه حبيبته وخسر الفتاة التي احب ؛ اذ انقطعت صلته بمحلته ،لكنه كان سعيداً ؛لأنه لم يسمح لخصمه بإذلاله ... وبسبب ما حصل له تطوّعتُ انا في صفوف الثورة العربية ، ومعها ألفت فكرة الموت ، الموت من أجل هدف مهما كان ، وليس الموت بلا معنى ولا غاية"[21].

إن الايجابية الشخصية لا تأتي من دون حالة او واقعة محددة صادفتها في حياتها في زمان ومكان ما ، وقد أثرت تلك الواقعة في إيجابيتها .وتقاس ايجابية الشخصية بقوة المؤثر الذي تواجهه وقوة التحدي على بلوغ الغاية التي تطمح إليها.

وايجابية شخصية اسماعيل الذبيح لا تأتي من دون مؤثرات سابقة ،قد اثرت تأثيراً واضحاً فيها ومنحتها الدافع القوي لتكون بها بتلك الصورة من الايجابية ، وهي التطوع الى الصفوف الثورة العربية لمحاربة السلطات العثمانية .

ومن هذه المؤثرات شخصية (جابر البنا)الذي تعرض للصعاب المادية والنفسية التي اثقلت كاهله وعلى الرغم من ذلك لم يهرب منها بل واجهها بكل اصرار وتحدي ، ولكي يتم فهم الشخصية الايجابية فهماً عميقاً يجب تتبع أبعادها النفسية المؤثرة في حياتها ؛ لان" التحليل لنفسية الشخصية وتعاملها مع الآخرين ضرورة بنيوية فمن خلاله يثير الكاتب اهتمام القارئ "[22].

ومن هنا فقد شكلت قدرات هذه الشخصية ومواقفها صورة شاملة ومتكاملة للشخصية الايجابية المحورية "اسماعيل الذبيح".

رابعا:- البحث عن السعادة والاستقرار:

لكي تكتمل صورة الشخصية الايجابية (اسماعيل الذبيح) ، لجأ الراوي الى اظهارها شخصية متكافئة مع نفسها ، اي منطقية غير متناقضة في صفاتها فتفسر، وتعلل بالحالة النفسية التي تعيشها ، اذ تتطوّر وتغير أفكارها ومسلكها بتطوّر الاحداث لكنَّها مفسرة في ضوء طبيعتها وصراعها ودوافعها ، مما يسهل على القارئ فهم هذه الشخصية والحكم عليها[23].

فيقول الراوي على لسان شخصية اسماعيل الذبيح نفسها :" اتصدقني لو أخبرتك بأنني عشقتها سماعاً قبل أن التقيها ؟ لقد أحببتها من خلال شقيقها رمزي ، ولم أنسَ حديثه عنها يوم تربعّتْ أما (الطابون) اعقب وفاة والدتها ، لتعمل الخبز للأسرة ؛ فقد عمدت إلى غمس أول أرغفتها بالزيت لتناوله شقيقها الصغير زكريا...حتى إذا ما التقيتها في القدس ، ورأيت نولها الذي نصبته في إحدى غرف البيت ، واسراب الدجاج والبط التي ربتها في (الحاكورة) أمام البيت معيلة أشقاءها الصغار ، عشقتها بكل وجودي ، عشقت صوتها وهو يتردد في البيت، ورنّة قبقابيها الخشبين المزدانين بالأصداف تتردد بإيقاع موسيقي ، عشقت كل شيء فيها ، فقد وجدت فيها نموذجاً لهاتيك النساء العربيات الصابرات المضحيات اللائي يجدن لذتهن في إسعاد المحيطين بهن... ويوم صارحتها بحبي لم تعد الدنيا تسعني حينما وجدتها تستجيب لي ...صحيح أنها لم تتفوه بحرف ، لكن سكوتها ، متورّدة الخدين ، كان ابلغ كلام في الدنيا "[24].

يتضمن النص الروائي السابق وصفاً مكثفاً للحالة النفسية والشعورية لسماعيل الذبيح الذي يتكلم عن فاطمة التي وقع بحبها قبل أن يلتقي بها ، وسعى إلى وصفها وصفاً دقيقاً ، بوساطة ذكر الصفات المميزة بها ، فهو وجد فيها مثالاً للصبر والتضحية ؛ لأنها تحاول جاهدة إسعاد المحيطين بها ، وعليه فقد حاول اسماعيل الذبيح ان يرسم شخصية فاطمة بكل ابعادها الداخلية والخارجية والاجتماعية المتمثلة بهيأتها وصفاتها ووضعها الاجتماعي ، فضلاً عن ذلك فقد رسم بكلمات منمقة مشاعره وعواطفه التي كان يحملها لفاطمة ، ومن ذلك تسلطت الاضواء على شخصية اسماعيل الذبيح لتقديمها بعواطفها ومواقفها المختلفة التي توضح التغير الحاصل في حياتها ،اذا بوساطة هذه المواقف اصبح اسماعيل الذبيح شخصية ايجابية تقود الاحداث وتدفعها الى الأمام بصورة متنامية تنامياً سببياً ومنطقياً ، وعليه

فقد وفق الراوي في تصوير الحالة النفسية المتخفية للشخصية الايجابية التي تحمل وظيفة تفسيرية تبين تحولاتها السلوكية وتوضحها، زد على ذلك تكشف هذه الوظيفة الانطباعات الذاتية بين الشخصيات الأخرى الأمر الذي خلق انطباعاً مؤثراً في نفس القارئ جعلته يتفاعل معها ويشعر بشعورها.

وبعد ذلك يمكن القول : إن الشخصية الايجابية هي المسؤولة عن عرض الأفكار والتحكم بخط سير الاحداث ، وبهذا تكون المحور المركزي الذي تدور حوله ، وكل ما يحدث من احداث متتابعة يؤثر في تلوينها بالوان جديدة، ويلقي اضواء كاشفة على مكامن اسرارها واعماق اغوارها. (25)

خامسا : – الحالة الشعورية المتأزمة للشخصية :

قد يلجا الراوي الى تقديم الشخصية الايجابية (اسماعيل الذبيح) عن طريق الوصف الانتقائي الجمالي الذي يعمل على تشكيلها ، ورسم ابعادها الداخلية والخارجية معا . زد على ذلك يحدد افكارها ومواقفها ، ويبين رؤيتها الخاصة عبر وصف ابعادها الخارجية التي تؤدي دوراً متميزاً في توضيح ابعادها الداخلية النفسية مفسرة ومبررة انسجامها وتناسقها الداخلي ، مما يخلق انطباعاً واضحاً ومؤثراً في نفس القارئ عبر اقوالها وردود افعالها (26) وفي ذلك يقول الراوي " بدأ اسماعيل وكأنه ازداد نحولاً وطعن في السن أكثر ، يتجنب ما وسعته الحيلة ، التطرق إلى مأساة استشهاد ابنه ،مكتفياً بالقول إنه لم يبق في عمان سوى أيام قبل أن يسافر إلى دمشق حيث استقر عند ابنه جابر ؛ فوجدتها مريم فرصة سانحة لإكمال دراستها الجامعية وأضاف مبتسماً :–وهكذا يبدو أنه لا مفرّ لنا من السير على نهج (الخطوة خطوة) مستلهمين طريقة وزير الخارجية أمريكا (كيسنجر) في حل معضلتنا مع العدو . فتساءل أبي ساخراً :– أتعني نهج المراوحة في المكان نفسه ؟ فأجابه اسماعيل بجدية هذه المرة : تماماً ؛ إذ إن الأمريكيين لن يسمحوا للعرب بتكرار تجربة حرب تشرين التي توحدوا فيها وتجرأوا _ اول مرة في تاريخهم – على قطع إمدادات النفط على أمريكا وبعض الدول الأوربية)) (27).

عمد الراوي إلى تصوير الحدث المفجع عن طريق وصف الشخصية الايجابية (اسماعيل الذبيح) وصفا دقيقا بارعا بوساطة بيان ابعادها الخارجية بصورة واضحة من دون غموض بقوله :(ازداد نحولاً وطعن في السن) ويتمثل هذا الحدث المفجع والمؤلم في استشهاد ابنه البكر (عطا) اذ يبدأ الراوي من نقطة حقيقية تأثر تأثيراً واضحاً في تتابع الأحداث الفاعلة تتابعاً سببياً ومنطقياً .

وبعد ذلك يعرض الراوي الحوار القائم بين الشخصيات ، ليسلط الأضواء على الحالة النفسية المتأزمة للشخصية الايجابية (اسماعيل الذبيح) ، فالحوار أقدر الوسائل وأوضحها لتقديم هذه الشخصية الايجابية ، ففيه يتنازل الراوي عن سلطة الحكي تاركاً المجال للشخصية "حتى تتكلم بعيداً عن مراقبته وتنطق بألسنتها دونما وصاية منه . ولذلك فإنَّ الحوار إلى كونه أقوالاً متبادلة ، هو فضاء في النص تتنفس فيه الشخصيات وتتحرر معبرة عن ذاتها بذاتها في تواصل مباشر مع المتلقي [28] " اذ تسهم هذه المشاهدة الوصفية والحوارية معاً إسهاماً فعالاً بحركة الأحداث ، وتناميها لما تجسده من صور تنبض بالحياة تصور أقوال الشخصيات وأفعالها تصويراً مسرحياً دراماياً ، ف"العلاقات السببية مؤسسة بين الأحداث التي تعكس تنظيماً نفسياً ، فمثلاً تكون أفعال الشخصية السبب أو النتيجة لحالتها الذهنية" [29]

وبذلك تكون الشخصية الايجابية (اسماعيل الذبيح) صانعة لهذه الأحداث المتتابعة ومتأثرة فيها في الوقت ذاته ؛ لأنها اعتمدت على حالتها الشعورية المتأزمة ، ففسرت ما تتألم منه ووضحته مما تثير انتباه القارئ وتشويقه لمتابعة الأحداث والتواصل معها.

الخاتمة:-

لعل من ابرز النتائج التي تمخضت عنها دراسة الشخصية الايجابية في رواية مقامات اسماعيل الذبيح يمكن اجمالها على النحو الآتي:-

1- انمازت الشخصية الايجابية في رواية مقامات اسماعيل الذبيح بوصفها عنصراً ايجابياً حيوياً يقوم بمختلف الأحداث المتوالية توالياً متنامياً ، فضلا عن ذلك تجسد نموذجاً حياً من النماذج الإنسانية في القوة والتحدي والأصرار ، فهي تحمل أفكاراً وسلوكيات تهدف الى تمثيلها والكشف عنها.

2- تقوم الشخصية الايجابية(اسماعيل الذبيح) بدور رئيس وتكون قوة الاحداث المتتابعة مركزة عليها ،ا ذ تتفاعل مع الاحداث والشخصيات الاخرى ، فتتمحور حولها الاحداث وتتصل على الشخصيات الاخرى بها ،وكل ما يقع في الرواية من احداث متنامية يمسها من قريب أو بعيد ؛ لأنها تنمو وتتطور في مواقفها المختلفة على وفق تنامي الاحداث وتطورها.

3- ان الشخصية الايجابية (اسماعيل الذبيح) تصور الواقع المؤلم بأدق تفاصيله انطلاقاً من الاحالة على احداث واقعية متأزمة تستند الى محددات زمانية ومكانية اسهمت اسهاماً فعالاً في انتاج الصور الواضحة في التحدي والصمود ،فبرزت شخصية اسماعيل الذبيح وكأنها تجسد المقاومة لهذه الاحداث المتأزمة ، ومن ذلك تعددت وتنوعت المصادر التي تستمد منها هذه الشخصية ايجابيتها وقوتها وهي : الانفراد والتميز في الصفات وقدرتها على التفاعل مع الاحداث وظهور الماضي بعده قوة تستمد منه الشخصية ايجابيتها ، وايضا الألم والقسوة من الأحداث المؤثرة التي تواجه الشخصية وكذلك البحث عن السعادة والاستقرار ، والحالة الشعورية المتأزمة للشخصية .

الهوامش

1- النقد الادبي الحديث: محمد غنيمي هلال ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1997م : 526.

2- يُنظر: سرد الأمثال ،دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية :لؤي حمزة عباس ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2003 م : 129 .

3- يُنظر :طرائق تحليل السرد الادبي ، رولان بارت وآخرون ،منشورات اتحاد كتاب المغرب ، الرباط ، ط1، 1992م : 23. وينظر الجسد في مرايا الذاكرة : منى الشرافي تيم ، دار الأمان ، الرباط ، ط1، 2015م : 298 .

4- سيميولوجية الشخصيات الروائية ، فيليب هامون ، تر : سعيد بنكراد ، تقديم : عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع ،ط1، 2013م :15 .

5- بنية النص السردي ، من منظور النقد الادبي : حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، د.ت :52.

6- دراسات في الواقعية :جورج لوكاش ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط3، د.ت : 38 .

7- في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، الكويت ،1998م : 89.

8- يُنظر: رسم الشخصيات في روايات حنا مينا : فريال كامل سماحة ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1999م : 30 –31.

9- يُنظر : غائب طعمة فرمان روائياً : فاطمة عيسى جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط1، 2004 م : 102.

10- النقد الادبي الحديث: 30 5 .

11- يُنظر : رسم الشخصيات في روايات حنا مينا : 24– 25.

12- ينُظر : بناء الرواية ، دراسة في الرواية المصرية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1982م :120.

13- يُنظر: أركان القصة ، فورستر ، تر :كمال عياد جاد ، دار الكرنك ، للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة : 1960م : 95.

14- المصدر نفسه : 86.

15- رواية مقامات اسماعيل الذبيح: عبد الخالق الركابي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ، 2016م :49.

16- المصدر نفسه : 567.

17- المصدر نفسه: 287.

18- المصدر نفسه: 567.

19- المصدر نفسه: 516.

20- يُنظر : الرواية العربية الجديدة ، السرد وتشكّل القيم : إبراهيم الحجري ، الناشر للدراسات والنشر والتوزيع، سورية – دمشق ،ط1، 2014م :252.

21- رواية مقامات اسماعيل الذبيح :423- 424.

22- أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربة :حاج محبة معتوق ،ط1، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994م : 34.

23- يُنظر : النقد الادبي الحديث: 530- 531.

24- رواية مقامات اسماعيل الذبيح: 424- 425.

25- الفنطازيا في إداء الممثل ، شعبان رجب الكحلي ، مطبعة السيمياء ، بغداد ،2016م : 78.

26- يُنظر : التفاعل البروكسيمي في السرد العربي قراءة في دوائر القرب ، اليامين بن تومي ، سميرة بن حبيلس ، ابن نديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2012م :81. وينظر تبئير الفواعل الجمعية في الرواية ،كوثر محمد جبارة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ،ط1، 2012م1: 223-224.

27- رواية مقامات اسماعيل الذبيح :186.

28- الرواية والسير الذاتية في الادب العربي المعاصر : محمد آيت ميهوب ، تقديم : محمد القاضي ، دار الكنوز للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2016م: 379.

29- علم السرد الشكل والوظيفة في السرد ، جيرالد برنس ، تر: باسم صالح ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 012 2م: 92.

المصادر والمراجع

1- اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية ،حاج محبة معتوق ،ط1، دار الفكر اللبناني ،بيروت ، 1994م .

2- اركان القصة ، فورستر ، تر:كمال عياد جاد ، دار الكرنك ، للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة : 1960م.

3- بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية ،مكتبة الشباب، القاهرة ،1982م .

4- بنية النص السردي ، من منظور النقد الادبي ، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت– لبنان ، د.ت.

5- تبئير الفواعل الجمعية في الرواية ،كوثر محمد جبارة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ،ط1، 2012م .

6- التفاعل البروكسيمي في السرد العربي قراءة في دوائر القرب ، اليامين بن تومي، سميرة بن حبيلس ، ابن نديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط1، 2012م .

7- الجسد في مرايا الذاكرة: منى الشرافي تيم ، دار الأمان ، الرباط ،ط1، 2015م .

8- دراسات في الواقعية ، جورج لوكاش ، ترجمة ،جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط3 ، د.ت .

9- رسم الشخصيات في روايات حنا مينا ، فريال كامل سماحة ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، لبنان– بيروت ، ط1، 1999م .

10- الرواية والسير الذاتية في الادب العربي المعاصر :محمد آيت ميهوب، تقديم : محمد القاضي ، دار الكنوز للنشر والتوزيع ،عمان ، ط1 ،2016 .

11- الرواية العربية الجديدة ،السرد وتشكّل القيم ، ابراهيم الحجري ، الناشر للدراسات والنشر والتوزيع، سورية – دمشق ،ط1، 014 2 م .

12- سرد الأمثال ،دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية :لؤي حمزة عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،2003م .

13- سيميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون ، تر : سعيد بنكراد ، تقديم :عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع ،ط1، 2013م .

14- طرائق تحليل السرد الادبي ، رولان بارت وآخرون ،منشورات اتحاد كتاب المغرب ،الرباط ،ط1، 1992م .

15- علم السرد الشكل والوظيفة في السرد ، جيرالد برنس ، تر:باسم صالح ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ،2012م .

16- . غائب طعمة فرمان روائياً ، فاطمة عيسى جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط1، 2004م .

17- الفنطازيا في اداء الممثل ، شعبان رجب الكحلي ، مطبعة السيمياء ،بغداد ، 2016م .

18- في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، الكويت ،1998م .

19- النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1997م .

20_مقامات اسماعيل الذبيح : عبد الخالق الركابي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ، 2016م .